آثار الاموريين في فلسطين

ذكرنا غير مرَّةٍ ان المستر بتري الاثري الشهير ذهب الى فلسطين في الربيع الماضي ليبحث عن آثار سكانها الاقدمين كما بحث في القطر المصري عن آثار سكانهِ القدماء وغيرهم ممَّن نزل هذا القطر وقد اطَّلعنا الآن على وصف ما وجدهُ من آثار لخيش احدى مدن الاموريين فاقتطفنا منهُ ما يأتي

كانت لخيش من امهات مدن الاموريين وهي على مقربة من مدينة غزة المعروفة الآن فتغلَّب عليها بنو اسرائيل وجعلوها حصنًا من حصونهم التي حموا بها ثغورهم . ثم تغلَّب عليها الاشوريون فاليونان فالرومان وكرَّت عليها السنون واخفى عليها الدهر بكلكلهِ كما اخفى على غيرها من مدن الشام حتَّى عفت آثارها ونسجت عليها عناكب النسيان . ولما ذهب المستر بتري لينقش عنها بين الخرائب شرع ينقب اولاً في مكان اسمهُ ام اللقيس ظانًّا ان فيهِ خرائب لخيش لتشابه الاسمين فلم يعثر الاَّ على شيء من الخزف الروماني فترك النقب هناك وانتقل الى تل يقال لهُ تل الحسي وجعل ينقب فيهِ فعثر على انقاض ست مدن الواحدة تحت الاخرى والسفلى منها قديمة العهد جدًّا وهي من ايام الاموريين وقد بنيت قبلما جاء بنو اسرائيل الى ارض الموعد . ويظهر من آثارها انها كانت محاطة بسور من اللبن سمكهُ تسعة امتار والباقي من ارتفاعهِ يبلغ سبعة امتار ولا يبعد ان ارتفاعهُ كان خمسة عشر مترًا فاكثر وداخلهُ آثار بيوت مبنيَّة بالحجر والطين . وقد ذهب الاستاذ سايس الى انها من بيوت بني اسرائيل التي بنوها بعد ان استولوا على لخيش واخربوا بيوت اهلها الاصليين وبنوا لها سورًا آخر من الاجر سمكهُ نحو اربعة امتار وفيهِ برج في زاوية الشماليَّة الغربيَّة

ووجد المستر بتري هناك حجرًا منحوتًا فيهِ نتوٌّ ملتفٌّ على نفسهِ يشبه قرن الكبش . ولهذا الحجر شأن كبير عند علماء البناء لانهم كانوا يحسبون ان تيجان الاعمدة المعروفة بالايونيَّة مصنوعة على شكل ذؤابة الشعر الاجعد ولكنَّ هذا الحجر يدل على انها مصنوعة على شكل قرون الكباش ويؤيد ذلك ان قرون الكباش كانت تستعمل في تيجان الاعمدة الفينيقيَّة

والذين راوا القدس الشريف في هذه الايام يعلمون انهُ يحيط بالحرم سور قديم فيهِ حجارة كبيرة منحوتة يظن بعض الثقات من الباحثين انها من عصر الملك سليمان ويظنُّ غيرهم انها احدث من ذلك حتَّى جعلها بعضهم من ايام الملك هيرودس . وقد وجد الاستاذ هبتر لويس ان هذه الحجارة منحوتة بآلة مسننة (القدوم المشرشر) وهذا النوع من النحت استُعمل اول مرة

في عهد الدولة اليونانيّة ولذلك فسورا ورشليم وسور حبرون من عهد هيرودس لا من عهد سليمان والحجارة المنحوتة التي وجدت في لخيش اقدم من عهد هيرودس لانها ليست منحوتة بهذه الآلة . وفي ظن المستر بتري انها من عهد الملك حزقيال اي قبل المسيح بنحو سبع مئة سنة . واذا ثبت ان هذا النحت المشرشر ظهر اولاً في عهد اليونان لاقبلهم كان ذلك خير مرشد للباحثين في آثار سوريّة ولا سيما في آثار بعلبك

ولا يخفى ان سنحاريب ملك اشور حارب لخيش وافتتحها ونقش ذلك على باب احد القصور في بابل فيتوقع اهل البحث ان يعثروا في خرائب لخيش على شيء من الكتابات الاشوريّة التي كان يبعث بها ملك بابل الى ولاة لخيش ولذلك سيعاود المستر بتري البحث فيها في الربيع القادم واذا لم يعثر الاّ على ما يثبت هاتين الحقيقتين وهما ان النتو الاعقف الذي على تيجان الاعمدة مأخوذ من صورة قرن الكبش وان النحت المشرشر لم يكن قبل عصر اليونان فكفى بهما جزاء لاتعابه واتعاب المشتغلين معه . والمأمول انه يكتشف حقائق أُخرى تاريخيّة لانقل عنها قيمة في اعتبار من يقدّر الحقائق قدرها .

هذا وقد يعجب القارئ من ان علماء المغرب يتجشّمون اشق الاتعاب ويتحمّلون اكبر النفقات ويقضون الايام والليالي بين خرائب مصر والشام وغيرها من بلدان المشرق ينقبون عن قطع الحجر وشقف الخزف بين الاطلال البالية ويسرّون بقطعة حجر منقوشة اكثر مما يسرّون بسبيكة ذهب ساذجة ولكنهُ لو قدّر الحقائق العلميّة قدرها لعلم انها اثمن من كل الجواهر وان الاسفار وان طالت والاتعاب وان شقّت والنفقات وان كثرت مسترخصة كلها في جنب حقيقة واحدة

والحقائق العلميّة تاريخيّة كانت او طبيعيّة او عقليّة مطلوبة لذاتها ولكنها قلّما تخلو من نتيجة عمليّة . وبمجموع هذه الحقائق قد امتاز الغرب على الشرق في هذه الايام زراعةً وصناعةً وتجارةً وبها ارتفعت اعلامه فوق الجانب الاكبر من المعمورة

وانهُ يعجبنا من اهل المغرب اهتمام كبرائهم بمثل هذه المباحث وبالباحثين فيها فترى وزراءهم وقواد جيوشهم وكبار تجارهم يهتمون اهتمام علمائهم . يغنيك عن كثرة الشواهد ان غلادستون الشهير يبحث في الآثار اليونانيّة بحث عالم كبير والسر جون لبك وهو من اصحاب البنوك اشتهر في مباحثهِ الاركيولوجيّة والطبيعيّة اشتهار اعظم العلماء وسردار الجيش المصري السر غرنفل باشا يهتم بجمع الآثار المصريّة ودرسها اهتمام عالم بها . اما نحن فمن العيب ان نحثّ علماءنا على البحث في آثار اسلافهم لاننا لم نكتفِ حتّى الآن من الحاجيات لكي نهتم بهذه الكماليات